عرّافة الرئاسة

الخرافة لا حدود لها، ولا يؤمن بها إلا الحَمْقَى والمغفلون والعاجزون عن العمل، والخائفون على نفوذهم من ذوي القدرات الضعيفة.

هؤلاء يدركون أنهم وصلوا إلى السلطة في غفلة من الشعب، وأن استمرارهم في مناصبهم مرهون باستمرار هذه الغفلة، لذلك يرون أن قراءة الطالع أهم كثيرًا من قراءة الواقع، وأن القوى الغيبية وحدها تستطيع إبقاءهم في مناصبهم وتحفظ لهم نفوذهم السياسي الذي لم يتحقق وفقا للمنطق وإنما تحقق لغياب المنطق!

بينما مَن وصلوا إلى السلطة بعد صراعات كبرى لن تجدهم يؤمنون بالخرافة، فالرئيس السادات كان يسخر من العرافين، وكان يرفض التسليم لهم أو الجلوس معهم، وذات مرة طلبت منه حرم الرئيس الإسرائيلي حاييم هرتسوج أن تقرأ له الكف، فاعتذر لها، وقال: أنا لا أحب هذه الممارسات.

بينما كانت زوجته السيدة جيهان تنتظر رأي العرافين، فقد قيل إنها كانت تستعين بهم دائمًا، بل إن هناك واقعة شهيرة عن تنبؤ عرافة لها بأنها

ستصبح سيدة مصر الأولى، وقالت لها العرافة: إنها ستصبح ملكة مصر في الوقت الذي كانت هي وزوجها -المفصول من الجيش- يبحثان عن أجرة البيت فاستغرقا في الضحك من سذاجة هذه العرافة.

لكن الغريب أن إحدى العرَّافات اليهوديات تنبأت في ١٩٨١ بقتل الرئيس السادات قبل نهاية العام وقد نشرت الصحف الإسرائيلية هذا الكلام وقتها!

ومثلما كان السادات لا يؤمن بالخرافات كان عبد الناصر، لكنه كان يتعامل مع العرافين والسحرة لتسلية ضيوفه، ومن بينهم الشيخ محمد لبيب، الذي كان يستدعيه لتسلية الضيوف بألعابه الغريبة، وليست فيها خدعة واحدة، فكلها عيني عينك -على حد تعبير أنيس منصور- فهو يضع الكوب في جيبك ويستخرجه من جيب أي واحد من الحاضرين، ويلقي بالكوتشينة إلى السقف فتستقر هناك ويستدعيها ورقة ورقة، وقد طلب ذات مرة من السيدة أم كلثوم خاتمها في حضور عبد الناصر فرفضت، فأخذه من زوجها الدكتور حسن الحفناوي ووضعه في كوب من الماء وألقاه من النافذة وطلب منها أن تبحث عنه في حقيبة يدها، فرفضت دخول العفاريت في شنطتها، وأشارت ناحية أنيس منصور الذي كان موجودًا بين الحضور وقالت: عندك أنيس وكلكم عفاريت زي بعض! وأخرج الخاتم من جيبه!

لكن على عكس عبد الناصر والسادات كان مبارك؛ فقد كان يؤمن بالخرافة إلى حد الهَوَس، فعلاقته بالعرافين بدأت في نهاية الخمسينيات عندما كان ضابطًا في السودان والتقى بعرَّاف سوداني تنبأ له بأنه سيصبح رئيسًا لمصر، في الوقت الذي كان لا يتعدى طموحه السياسي أكثر من

محافظ أو سفير، وهو ما جعله يأخذ الأمر بجدية عندما تم تعيينه نائبا للرئيس السادات، فقد قيل إنه كان يتردد على عرَّافة في مصر الجديدة تقرأ له الطالع.

كان يمكن أن تظل المسألة سرًا، وأن لا يعلم أحد شيئًا، لكن "أم ماجد السيدة البدوية التي ذهبت إلى مبارك في مستشفى شرم الشيخ بعد الثورة، ودخلت إلى حجرته في الوقت الذي كانت فيه المستشفى أقرب إلى ثكنة عسكرية، وكان مبارك ينام تحت الحراسة المشددة، وبالتالي فإن وصول أي شخص إلى المستشفى لا إلى غرفة الرئيس المخلوع يُعدُّ عملًا خارقًا للطبيعة.

دخول "أم ماجد" إلى غرفة مبارك من المؤكد أنه تم بناءً على دعوة من سوزان مبارك، لأنه ليس طبيعيًا أن تذهب العرافة في هذا التوقيت دون أن يطلبها أحد، لكن جاءت في مهمة محددة وعاجلة وهي أن تقرأ الطالع لمبارك وتخبره بالمستقبل الغامض الذي ينتظره.

إنها عرافة الرئاسة التي كان يلجأ إليها الرئيس وزوجته في الأزمات، ولم يكن ممكنًا في أزمتهما الكبرى أن يسيرا دون مشورتها ليفتضح أمر الرئيس والعرافة.

إيمان مبارك بالعرافين لم يقتصر على من هم بداخل البلاد، ففي عام ١٩٨٢ كان مبارك في باريس حين أحضر له الدكتور بطرس غالي منجِّمة فرنسية كانت شهيرة في أوساط الدبلوماسيين وقالت المنجِّمة لمبارك ضمن نبوءات أخرى كثيرة: "ستموت في السنة التي تعين فيها نائبًا لك"، ويبدو أن هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل مبارك يرفض طيلة حكمه تعيين نائب له.